

التدبير في القرآن ومعرفة تفسيره



ورد الحثّ الشديد في الكتاب العزيز، وفي السُّنة الصحيحة، على التدبير في معاني القرآن، والتفكير في مقاصده وأهدافه. قال ابن تيمية: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد/د/ 24).

وفي هذه الآية الكريمة، توبيخ عظيم على ترك التدبير في القرآن. وفي الحديث عن ابن عباس عن النبيّ (ص) أنّه قال: «اعربوا القرآن والتمسوا غرائبه».

وعن أبي عبدالرحمن السلمي قال: «حدّثنا مَنْ كان يقرئنا من الصحابة، أنّهم كانوا يأخذون من رسول الله (ص) عشر آيات، فلا يأخذون في العشر الأخرى حتى يعلموا ما في هذه من العلم والعمل».

وعن عثمان وابن مسعود وأبي: «أنّ رسول الله (ص) كان يقرئهم العشر، فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى، حتى يتعلّموا ما فيها من العمل، فيعلمهم القرآن والعمل جميعاً».

وعن الإمام عليّ بن أبي طالب، أنّّه ذكر جابر بن عبد الله ووصفه بالعلم، فقال له رجل: جعلت فداك، تصف جابراً بالعلم وأنت أنت؟ فقال: «إنّّه كان يعرف تفسير قوله تعالى: (إِنَّ السَّيِّئِينَ وَالْمُفْسِدِينَ وَالْمُنَافِقِينَ هُمُ السَّرِيعُونَ) (سورة النور/ 24)».

والأحاديث في فضل التدبير في القرآن كثيرة. ففي الجزء التاسع عشر من بحار الأنوار طائفة كبيرة من هذه الأحاديث، على أنّ ذلك لا يحتاج إلى تتبع أخبار وآثار، فإنّ القرآن هو الكتاب الذي أنزله الله نظاماً يقتدي الناس به في دنياهم، ويستضيئون بنوره في سلوكهم إلى آخرهم.

وهذه النتائج لا تحصل إلا بالتدبير فيه، والتفكير في معانيه. وهذا أمر يحكم به العقل. وكلّ ما

ورد من الأحاديث أو من الآيات في فضل التدبّر، فهي ترشد إليه. ففي الكافي بإسناده عن الزهري، قال: سمعت عليّ بن الحسين يقول: «آيات القرآن خزائن، فكلّما فتحت خزينة، ينبغي لك أن تنظر ما فيها».►

* المصدر: كتاب البيان في تفسير القرآن